أيقونة العمر الملول

فايز محيي الدين البخاري

● عبّدتُ شطآن التباريح
العجاف بأنجم
الأمل المعتق،
في انكسارات الحنين
وسرتُ مصطخب الأماني
في مدى الأفكار
فاختلطتْ مداراتُ التحدي
بانبلاج الزيف
وانبثقت دُمى التهويم
واليأس المحنط
في كهوف الصمت
دامية الجبين.
●●●
هكذا عشتُ السلام
معلباً
بخطاب ساسات الهزيمة
لم أكن يوماً أغني
كي أنال لذائذ
العشق الدفين.
لم أكن أهوى الغواية
تحت نار الشوق
كبتاً ليس يورقُ
أنجماً فضية
تهوى طعان الهجر
لاتقوى على بتر الوعود
القاصفات
لغصن أحلامي الفريدة
●●●
وحدهُ يدري غرامي
أنني ماجبتُ
آفاق المَاسي مجدباً
إلا لأبحث
عن ثغور الورد
حتى أرشفَ الأملَ
الذي سيُعيدُ «لوركا»
طامحاً في النور
في الفجر الجديد.
●●●
أتراك ياهذا المزينُ
بالهواجس
سوف تركضُ
في جفاف الهمسِ
إن جاءت عرائسُ
بسمة الشفةِ البتولْ؟!
أم ترتضي قسماتِ
ألوان السنابلِ
جدولاً
تسقي بها
إيقونةَ العمر الملولْ.
قل لي إذا انثالَتْ
تمائم زهرة الأنثى اللعوب
بكأسنا
كيف التداوي
في براثن صيحة القدّ الشريدِ
وكلُّ ماحول القصيدة
من بناتِ البوحِ
عاقرها الصدى
في ملعب الطيفِ البهيمْ.

▹ لم أجد دوراً فعالاً لتشخيص واستنطاق المكان وثقافته في كثير من الروايات العربية واليمنية على وجه الخصوص إلا في الرواية اليمنية إن وجدت إذا ماستثنيت الرواية في بعض البلدان العربية .. كمصر والكويت «على وجه التحديد للمثل» إلا أني وجدت المكان بارزاً في الرواية اليمنية التي شارك الكثير في تأليفها «صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م» والتي أقرأها لمدة عام متكامل الثقافية والاندماجية والتعارفية باشتعالاتها واشتغالها المحتدم بكل روافد الاستبصار النوعي والأيدلوجي بكل مظاهره التكوينية ذات البعد التاريخي التوليدي الواحد.

فارع الشيباني

وأجدني غير مضطر لإبراز المعنى المصحوب بالدليل لأن ماهو مستنطق ومستحدث داخل الصورة خير دليل لأن يقدم نفسه بدليل مُعرّف بذاته وصفاته، تلك مشاهد استغرقت وقتاً وجهداً تشكر عليه الأنامل المحترقة التي خطتها ورسمتها وقدمتها للرائي مشاهد متكاملة بأركانها الأربعة كانت تحت تاثر الوعي للقوى التي راهنت على كائن مخزون تحت خط الظل أبدعت أفعالها مسؤولية قادرة على الخلق والإبداع تحت رعاية، صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م بقيادة رئيس الجمهورية وأداء وتنفيذ القدرة المثقلة بالوعي الثقافي والإدراكي التي وعت مسؤوليتها بالتمام، وزارة الثقافة، ممثلة بوزيرها الأديب المثقف الأستاذ/ خالد الرويشان الملف المفتوح بكل أبعاده الإنسانية والوطنية.

تلك رواية عالمية مقروءة ومسموعة ومشاهدة عمقت المكان في كامل فصولها والتي استوحيت منها أحد عشر محوراً موثقة بالآتي:
١- ثقافة المكان.
٢- شعرية المكان.
٣- الصورة وموسيقى المكان.
٤- غنائية المكان.
٥- فضاء المكان.
٦- توحد المكان.
٧- البعد التاريخي للمكان.
٨- استنطاق المكان.
٩- غياب وحضور المكان.
١٠- حاضرة وحافظة المكان.
١١-بساطة المكان.

وسأبدأ الحديث عن المحور الأول: (ثقافة المكان) «داخل الرواية الكبيرة» صنعاء عاصمة الثقافة العربية:

ثقافة المكان

- هناك جزئيات صغيرة وخصوصية تشكل ذاكرة أدبية وكتابية وفنية وشعرية لدى المبدع لخلق تصور كبير وتخيلات لاتكاد تكون جديدة في سردية أحداثها عند المتلقي، ولن تبعث فيه قوة التذكر لاستيعابها وبثها للآخر بسردها الجديد والمثير بما يتناغم معها ومفهوم اليوم بمتغيراته الواسعة والمتباينة فالألعاب المختلفة اللاصقة في ذاكرة الطفل هي محل تحولاته الفكرية والمعرفية ومنطلق تخيلاته البدئية في أول مراس له وهو يبني له بيتاً من طين أو عرشاً من سعف أو شجر الإثئاب والعنشط وحين تسوقه الذكريات إلى ملاعب الطفولة ومراتع الصبا والشباب ليفجر مخزونه المعرفي ليفجر مرانه الجديد الامتداد الطبيعي لمرانه الأول وهو يلعب «القدة» أو «الغمياني» أو «وايا وايا أكلنا الذيب» أو «سر وام ساري» ثم يصحو من حلمه ويدون كل ذلك على هيئة كتاب للألعاب ناقلاً معه اسم محل ومكان انطلاقاته الفكرية والتخيلية إلى المركز الثقافي فيستوعبها المركز يقيناً بذلك.

المركز الثقافي قد أدى دوره التثقيف المكان من خلال الراوي والمروي عنه داخل الرواية، ووزارة الثقافة عندما تجسد هذه الأفعال مكتوبة ومقروءة إلى أفعال مشاهدة ومنطوقة وحركة منقولة إلى كل مكان يكون لها الدور أي الوزارة في تثقيف المكان بهذا الامتزاج الحميمي للأمكنة المختلفة داخل النطاق الجغرافي الواحد والواسع والمختلف في القطر الواحد أو الأقطار المتعددة والمختلفة.

٢- بطبيعة الأحوال وهذا سلوك متبع ومفروغ منه أن لكل قرية ومنطقة ومدينة في العالم أنشطة متبعة ومختلفة في ألعابها وتساليها تشغل مجالات عدة ومختلفة كممارسة الألعاب الرياضية والموسيقية والحكائية، منها أنشطة تحتاج إلى جهود وطاقات عضلية وذهنية وتخيلية كالموسيقى والرسوم وتدوين «الحضرة» لتبادل السماع والقصائد الدينية والمناسباتية في الموالد والحضرات، تلك نغمات كانت تشكل داخل الذهنية البشرية تعتزل في ذاكرة النشء مما يحفزه أن يدعم قدرته على صياغة إيقاعية معينة مما يدفعه لأن يخوض معركة أخرى لتدوين إيقاع نغمي معيّن يتخلق مع صياغة لحن نغمي معيّن ذي إيقاعات نغمية تطريبية أخرى يشكل وعياً إبداعياً معيناً لخلق الأغنية السماعية والنشيد ذي المارش والرقصات ذات الايقاعات المختلفة والمثيرة بتناغمها العجيب.

فأطفال القرية لهم ممارسات في مسلكيات تبادل إيقاعي نغمي مختلف وذلك في تشكل فرق تتلاقى يتقدمهم» المرجع و المرجح وكلمة المرجع بفتح الراء المهملة وكسر الجيم المعجمة وتسكين العين المهملة اسم فاعل لفعل غير ثلاثي مصدره الترجيع أو «ترجيع» وهو التثليث لضبط الوزن الموسيقي للفرقة الموسيقية التي كانت تتكون من أربع أو خمسة أطفال للفرقة الواحدة يتغالون مع الفرقة الثانية، وبحسب الذوقية المرتفعة والجهد المبذول والجهد الذي يتخيل ذائقة الآخر يتم تغلب فرقة على أخرى بما تمتلك من حس وذائقة فنية رفيعة كانت تشكل مثار الإعجاب عند الآخرين ثم تكون مستوعبة ومستحبة من الآخر تلك داخلة في صميم التراث مشكلة لإبداعاً له خصوصيته بهذه الجزئيات الرائعة والدامغة لكل تقولات تريد اقتلاع التراث واجتثاثه متفاعلة مع ماهو مستورد وغريب وافد من ثقافات تراثية لاتمت بصلة مع خصوصيتنا المليئة بالتراث والإبداع، ولكن هذا التناول ليس محل حديثنا لأن ذلك التحليل قد ذكرته في كتابي الدولي وتراثنا الشعبي، فالأطفال كانوا في قراهم المختلفة يصنعون أدوات إيقاعية مختلفة من الحجارة المسطحة لضرب الحجارة بالحجارة أو من مخلفات المعلبات أو التناكة أو القطع المعدنية الأخرى مما جعلهم يشكلون قطاعات وجمل موسيقية، أطلقوا عليها الكبار الدولي والسياري والدولي يحتاج إلى سير حركة أقدام متوافقة وثقيلة والسياري يحتاج إلى سير حركة أقدام خفيفة وسريعة وهو كثيراً مايستخدم عند الرواح تعبيراً عن العجلة والوصول السريع إلى أماكنهم بعده السمرة والاستجمام في المكان الآخر يتبع هذه الإيقاعات السيرية إيقاعات رقص، أطلق عليها الكبار بالحوطي، الجون والبريشة والحجلة والزبيري وأجمل أنواع الرقص «الرقصة الزبيرية» أما الايقاعات التي كانت تؤدى أثناء الحضرات على الطريقة الصوفية مثل الدولي، كما كان يحصل في جمع الغوري والطيّار أو المشمّر ومنطق البقرة على وجه الخصوص وهذه المزارات تشكل أروع الحضور السياحي إذا ماتناولنا السياحة كصناعة بمحتوى معناها واستنساخها الجديدين.

أما التدخيلة والسماع والجلالة فهي لاتؤدي الا في الخامس عشر من شعبان ليلة الشعبانية، وهذه الليلة يقام فيها مولد الخمسة أهل الكساء على حد تعبير الفلسفة الصوفية، وطريقة إيقاعها تختلف تماماً عن بقية الإيقاعات الأخرى، وهناك إيقاعات أخرى تسمى بالتماسي، وهي تؤدى لتحية العروس والضيوف الحضور قبل مغادرتهم مكان الفرح في ليلة الزفاف والتسمية أيضاً تؤدى في الساعة الثانية صباحاً بعد منتصف الليل في شهر رمضان الكريم لإيقاظ النائمين لتحضير طعام الإفطار وتناوله إيذاناً لصوم يوم جديد مثلها كمثل المسحراتي أو طبيلة في باقي البلدان العربية، وإذا كانت الموسيقى لغة عالمية يتفاهم من خلالها جميع الأجناس والفئات وجدانياً ونفسياً فإن الإيقاعات الشعبية لغات ولهجات يتجانس كل إيقاع شعبي مع لهجة ولغة المحل المتواجد فيه صفة وتوجه مثلاً الإيقاع الشعب في بني شيبة يتلاءم ويتجانس مع لهجة بني شيبة ويعبر عنه كما هو حاصل في العزاعز منها، وكذا صنعاء والحيمتين وتهامة وعدن وأبين ولحج ولكل منطقة إيقاع شعبي يتجاوب مع المنطقة المتداول فيها لغتها ولهجتها في كل أنحاء العالم. أما التحضير فهو إيقاع شعبي سريع يؤدى في الأعياد أو شن غارة أو إيذاناً لحرب أو لتجميع القبيلة لغرض مهم أو لنجدة الملهوف.

أما الناي والمزمار «عندما تمتزج إيقاعات مع الأدوات الإيقاعية الأخرى فذلك امتزاج لغوي لهجوي متعارف عليه في تلاقيها عند التحامها وتمازجها وهذا يشبه» فرقة الجاز أوروبياً ولكن ماجدوى ذلك في مضمون كتابنا، صنعاء وثقافة المكان بالعكس هذا يثري المضمون الثقافي لأن وزارة الثقافة عند نقلها لكل الإيقاعات الشعبية داخل المركز الثقافي عبر البث المرئي صورة وصوتاً تكون قد عرّفت الإيقاع الشعبي بالآخر ، وهذا لب التواصل المعرفي بلغة الآخر عبر مصبات معرفية إيقاعية وذوقية وهذا يعني تثقيف المكان موسيقياً ولغة وذوقاً غير أن المنفذين كان لديهم قصور غير مُضر ولا ملحوظ وذلك في انتقائها لبعض الإيقاعات الشعبية وتغييبها لإيقاعات أخرى لكثير من المناطق وكان عليها أن تجمع كل الفرق الشعبية عربياً لمعرفة لغة ولهجة الآخر من خلال تواجده الإيقاعي الشعبي والتراثي.

و«المراج بالجبس» أضاف جمالاً آخر يوحي بشعرية المكان مع الاحتفاظ بتلقائية واستطاطيقية المكان المشيد بالتبن والياجور تتويجاً للغة المعمار التاريخي التليد واستنطاقاً وعزفاً للحن مأسور بالدهشة والجمال لموسيقى ذات تعدد إيقاعي وانفعالي صامت داخل الصورة الممتعة داخل اللوحة الشاردة في العمارة التاريخية داخل صنعاء القديمة صنعاء التاريخ والعراقة والحضارة والمجد والتي تمت لإنسان بدأ صراعه معها قوياً فروضها فتأثر بها واستأثرها فدخل في الزمان والمكان تاريخاً وشعراً إذا عرفنا الشعر بأنه المتع المفيد واللغة التي تُنبئ عن حضارة بإنسان قد يرى هذا التشكيل في القصيدة الصامتة والتنويع البصري أفصح عنه مثقف ليس إلا وليكن خالد الرويشان، ولتكن قدرة خارقة نقلتنا إليه لتعبر عنه قوى الجن أو الملائكة المهم أنه ظهر ومن أفصح عنه نراه البوابة الرئيسية وحتى لاتكن لغة كتابنا هذا صنعاء ثقافة المكان لغة صحافية ورصداً ولا يهمنا أن نبحث عمن مؤن أو من كلّف، تلك مهمة الصحافي الأمين -يعني- إنارة صنعاء القديمة «ومرج» بناياتها القديمة بالجبس مثلما هو حاصل في مشروع السائلة تحتاج إلى جهد ذهني ومالي كبيرين ماأدري إن كانت الجهة الممولة جهة خارجية «كالصندوق الدولي» مثلاً أو جهة حكومية «كالبنك المركزي مثلاً، أو جهة وطنية بحتة بتعاون أهلي وقع على أن يضع أمواله تحت أياد أمينة وشريفة تذهب لغة الخصومة مابينها وبين الحكام باعتبارها تعطي باعتبارها تعمل باعتبارها تنتج وهذا هو الفعل الذي يوجد حياة وحضارة لحقبة تاريخية توليدية تدخل صاحبها التاريخ من أوسع أبوابه، أقول ليس من شأننا أن ننقب عن شيء ليس بوسعنا إحصاؤه وهذه من مهة الوزير إن أحب التوضيح عن الجهة الممولة لهذا المشروع المهم والجاد والأخلاقي التليد.

أما ماهو منقوص ولأن صنعاء لم ترشح كعاصمة للسياسة العربية باعتبارها عاصمة الجمهورية اليمنية، ولكن رشحت صنعاء عاصمة الثقافة العربية فوقع عليها الدور فكان من المفترض أن يكون داخل صنعاء القديمة أكثر من ثلاثين مسرحاً متحركاً «مسرح الهواء الطلق» لاستغلال حاراتها الرائعة وفضائها وصداها التاريخي فلماذا لاتستغل بعض الأماكن التاريخية في صنعاء القديمة كمسارح متحركة لنقل صنعاء القديمة للآخر بما تحمل من تراث وآثار وحضارة تاريخية عريقة؟ أقول إن الاحتفاظ بجمالية صنعاء والتشكيل البصري والنوعي تاريخاً وتراثاً هذا ماأقصده، «في كتابنا» صنعاء وثقافة المكان وهذه الإيماءة الشاردة لثقافة المكان التي استنطقتها وزارة الثقافة إيحاء فكر تاريخي وحضارة بقيادة الوزير المستبصر ثاقب الذهن والرؤية.

مركز دراسات اللغة المهرية

كتب/ محمد محمد إبراهيم

● تعتبر اللغة المهرية من اللغات الضاربة جذورها أعماق التأريخ أي إلى ما قبل نزول اللغة العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي ومن قبل أن تتصارع اللغات فهي لغة تمثل لسان حضارة طوعت الزمان والمكان لتكون وثائق لها دالة على آثارها وأصتالها إذ لازالت قائمة حتى الآن ولكم هو رائع أن تحظى هذه اللغة باهتمام ورعاية من قبل كل إنسان يحب تأصيل حضارته والحفاظ عليها وكشف قناعها التاريخي العريق الذي تغطيه العصور الغابرة.

والآن وبموجب قانون رقم (٧) الصادر عن وزارة الثقافة والسياحة لعام ٢٠٠١م بشأن المراكز والجمعيات الثقافية فقد تم إنشاء مركز دراسات اللغة المهرية في الغيظة عاصمة المحافظة يشير مؤسس المركز الأخ/ سالم محمد القميري إلى أن المركز يهدف إلى جمع التراث الثقافي ،من عادات وتقاليد وآداب وقصص وحكايات وأمثال باللغة المهرية وترجمتها باللغات الحية الأخرى ..إصدار قاموس ومعجم باللغة المهرية وأخواتها السقطرية ..والشحرية (الجبالية)..وإصدار نشرة دورية بعنوان أحقاف المهرة وجمع النقوش والرسومات و المخربشات الأثرية من جميع مواقع محافظة المهرة وإصدارها بالإضافة إلى عمل متحف مصغر يعنى بالموروث الشعبي وإنشاء مكتبة عامة خاصة بالمركز.

كما أشار أيضا إلى أن هناك خطة للمركز لمباشرة فعاليته الهادفة إلى الاهتمام بجوانب وأصالة اللغة المهرية كعقد ندوات فصلية بالشعر والشعراء بالمهرية وتوثيق نشاطهم وإصدار دواوين بذلك وعقد ندوات عن تاريخ المهرة المعاصر والحديث واعداد دراسات وبحوث عن مختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية وغير ذلك.

ومنذ إنشاء المركز بجهود المؤسس القميري فقد تم إصدار العديد من الإصدارات منها المهرة بوابة اليمن الشرقية عام ٢٠٠١م والمهرة القبيلة واللغة ٢٠٠٣م ،والتراث الشعبي والمهري عام ٢٠٠٤م تحت الطبع وغير ذلك من البحوث.

وبناء على ذلك فإن المؤسس يهيب ويناشد جميع الأفراد والهيئات اليمنية والعربية بالتعاون معه لتحقيق نشاطات المركز الثقافية والحفاظ على هذه الثقافة من الانقراض.

الغربة وأثرها في شعر القاضي عبدالرحمن الآنسي

نبيلة عبدالله الواسعي

● إن مظاهر الطبيعة لها مذاق خاص لدى بعض الناس، كالذي يتصفون بالأحاسيس الرقيقة، والمشاعر المرهفة، وهم من يطلق عليهم بالرومانتيكيين. فإذا ما أحس الرومانتيكي بالحزن، وتحركت عواطفه، واهتز وجدانه مال إلى العزلة والانفراد، ولجأ إلى الطبيعة بكل مظاهرها، وبثها حزنه وعواطفه، فتنشأ بينهما صداقة لا تنفك عراها، وقائدهما في السير في هذه الحياة الخيال الخصب، فيؤنس الأشياء ويحاورها وينايديها، ويعتبرها وسيطاً بينه وبين أحبته البعيدين عنه.

وبواعث الأحزان للإنسان كثيرة، ومنها الغربة، والغربة لدى الرومانتيكي لها منحى آخر، يختلف لدى الآخرين، فتحدو به إلى العزلة وتؤجج عواطفه، وتشعل ذروة أشواقه تجاه من فارقهم، ولم يجد من يشكو إليه ما يكنه في جوانحه سوى تلك الطبيعة.

وهذا ما يلمسه القارئ في شعر القاضي عبدالرحمن يحيى الآنسي، أوائل القرن الثالث عشر الهجري في ديوانه "ترجيع الأطيار بمرقص الأشعار".

فقد عين الشاعر عبدالرحمن الآنسي حاكماً في كثير من مناطق اليمن أوائل القرن الثالث عشر الهجري فابتعد عن صنعاء وأحبته وأهله، فلجأ إلى الطبيعة وما فيها من حيوان وطير وليل وصباح وغيرها، يبثها أحزانه وأشواقه المتأججة.

ويلحظ أن للطير النصيب الأكبر من مناداته ومحادثته لها. فرقة تلك الطيور وأصوات بعضها الجميلة الباعثة للشجون وحريتها في الترحال حيث شاءت كانت سبباً في جذب عواطفه ومشاعره الرقيقة نحو مخاطبتها واستئثارها بتلك المخاطبات على غيرها من المظاهر الأخرى.

● وتكتفي بذكر مثال لحوارات الشاعر مع مظاهر الطبيعة لعدم الإطالة وأولها حوار مع الذكر من الحمام ويسمى بـ«الحمامي» فقال:

يا حمامي على داري ينوح
لا تزد في شجى قلبي الكئيب
أنت تدعو هديل من عهد نوح
وأنا ادعو حبيب عهده قريب
رحمتاه لي ولك يا ذا الصدوح
من دعانا إلى من لا يجيب
غير قل لي لم اخترت السطوح
والعلالي على الغصن الرطيب

ويجيب ذلك الطير فيقول:

قال ما قدره ربك يكون
والقضا حتم والأفلاك تدور

ويستمر ذلك الحمامي في حديثه مع الشاعر حتى يصل إلى مرحلة البوح بما يكن في صدره وهي حالة الشاعر التي عبر عنها بمنطق الطير فقال:

قال في ذلك القصر المشيد
المواجه لدارك من عدن
غانية من رآها من بعيد
أو قريب طاش عقله وافتتن
وافؤاداه وا أنسي الوحيد
تلك لي مثلما هي لك شجن

ويختتم الشاعر ذلك المقطع بتكرار التمني، تارة يتمنى أن يعلق بالجناح، وتارة يتمنى أن يكون حبيس القفص ليرعى كما يرعى الربيب:

ليتني في جناحك حين تروح
ليتني في القفص مثلك ربيب

● ثم ننتقل إلى مظهر آخر من مظاهر الطبيعة التي لجأ الشاعر إليها وهو الليل ،ويأتي في المرحلة الثانية بعد الطير في مخاطبته له فالليل يعكس سواده على النفوس فتخرج الهموم والاكدار، ويبعث الإلهام في الذات الشاعرة، فيحن ويئن، ويخاطب الليل لينفس عما يجيش في جوانحه وخلجات نفسه فقال:

يا ليل علمك بمن عانى السهر
ومن طرد بالقلق فيك الهجوع
ومن لبس فيك همومه والفكر
ومن نزف فوق ثوبيك الدموع
ومن ترقب نجومك في السير
على الغروب والتوسط والطلوع

● ثم تتجه مشاعره نحو الخضرة اليانعة، والتي تروي ظمأ الشوق فيخاطب الغصن الرطيب قائلاً:

يا قضيب في كثيب أسمر البدر المنير
تحت داجي ظلام الذوائب
ويك ما حلاك في القلب والعين والضمير
كيف ما كنت لا بس وسالب
حين تغيب من قبالي يكاد قلبي يطير
وأصير ذاهل اللب ذاهب

● ونختم الأمثلة بمخاطبته نسمة السحر مستوقفاً لها بلطف كي يسمعها شكواه:

يا نسمة السحر
قفي لمن له بك ألم إيناس
صب جفي المقر
وأوحشه وارد هواه من الناس
نهاره فكر
كم يضرب اخماس في مضارب اسداس

● وهكذا رأينا كيف أثرت الغربة في نفس القاضي الشاعر عبدالرحمن يحيى الآنسي فغدا إلى الطبيعة ليستأنس بها من وحشته، ويشكو لها همه كي تشاركه وتخفف عنه عبء أحزانه، فالمرء بحاجة إلى صديق يسمعه ويهون عليه ما ألم به، فإذا لم يجد الصديق قد يعمد إلى مظاهر الطبيعة ليتخذها صديقاً له، ولعلها تكون أكثر صدقاً معه وتأثيراً عليه، فتمثل مصدر إلهام للأديب ،فينثال لسانه شعراً.